ذلك . فالتعليق بعيد عن الصورة كل البعد بل هو مناقض لها . اذ انه يتحدث عن صعوبة تعليم ابناء الفلسطينيين في الكويت من اضطرارهم الى الذهاب الى المدارس في المساء بعد :خلائها من الطلبة الكويتيين الى حاجة الفلسطينيين الى الامكانيات المادية للانفاق على الاساتذة والمواصلات وغير ذلك . والمشكلة الاساسية لم تظهر في الفيلم بل كاد الفيلم ان يخدم الغرض المعاكس فبدلا من ان يدين التمييز في معاملة الطلبة الفلسطينيين في الكويت والمشكلات النفسية والقومية الناشئة عن ذلك بالاضافة الى المشاكل المادية او يعرض على الاقل بعمق هذه المشاكل فان سطحية الفيلم كادت ان تخدم الغرض المعاكس .

فيلم « البيت » اضاع الهدف بما لا يقل عن فيلم « على طريق فلسطين » ان لم نقل اكثر . الفيلم مأخوذ عن قصة زكريا تامر المنشورة في كتب الاطفال لدار الفتى العربي، وهي تتحدث عن ان كل مخلوق بما في ذلك الحيوانات له بيت . ويكاد البيت ان يصبح حلقة داروين المفقودة التي تربط ما بين الحيوان والانسان مع تعريف ان البيت هو المكان الذي يشعر فيه الانسان بالحرية والسعادة والاطمئنان . والمسكن ليس بيتا بدون هذا المعنى .

المعالجة السينمائية التي اعتمدها فيلم « البيت » اضاعت الحلقة المفقودة والشعرة الرفيعة التي تفرق ما بين الحيوان والانسان وان كان كل منهما في حاجة ماسة الى بيت . فهو يعرض بالشكل التالي : طفلة تبني بيتا صغيرا فتقع كرة قدم عليه وتهدمه فتبكي الطفلة . وتسألها معلمتها عن سبب بكائها وتتفهم السبب لهدم البيت . وتبدأ بالحديث عن الحيوانات وكيف انها كلها لها بيوت : الفأر والدجاجة والقط والارنب والسمكة والعصفور والافعى . « حتى الافعى ، هل تصدقين ان لها بيتا » . وبعد هذا العرض من سينما والت دزني عن الحيوانات وبيوتها تسأل المعلمة قائلة : « هناك مخلوق وحيد ليس له بيت . هل تعرفون ما هو ؟ » ويسود صمت وتحفز ... الجواب : الفلسطيني .

المعالجة السينمائية التي اضاعت الشعرة الرفيعة ومفهوم البيت وحولت الفيلم الى احجية بدلا من تعميق مفهوم البيت ثم هذا الانتقال المباشر في المونتاج من الحيوان الى الفلسطيني جعلت الفلسطيني بالنسبة لعقول الاطفال - بدون قصد طبعا - نوعا من المخلوقات الغريبة !

الحقيقة التي برزت في العديد من الافلام السينمائية العربية عن القضية الفلسطينية هو ضعف ما يسمى sophistication اي الوعي العمق فكريا وسياسيا وسينمائيا او المهارة المثقفة . ولتبيان ما نعنيه بذلك يمكن الاستشهاد بالفيلم الياباني « وطني فلسطين » للمخرج اوتاني الذي عرض القضية بشكل مباشر في لقاء مع « ابو عمار » مدعوم بالفصول السينمائية التي تشرح الخلفية والابعاد . ففي هذا الفيلم خفت حدة المباشرة بالاستعمال المناسب للموسيقى والاناشيد الحماسية التي كانت تظهر بشكل مخفف لا على صور المقاتلين وانما على صور سكان المخيمات . اما المقاتلون فكانت حركاتهم لا تحتاج الى موسيقى بل احيانا الى صمت .

خطورة المبالغة التي يقع فيها السينمائيون العرب لا تأتي احيانا من التعليق المباشر الصاخب فقط وانما من تجميع مبالغات عديدة في بؤرة واحدة بحيث يصبح الفدائي الفلسطيني اما شيئا اكبر من الانسان او يصبح انسان المخيم شيئا اصغر من الانسان . وقد اجمع الكثيرون في مهرجان السينما على ان الفيلم الدانماركي « الشعب المضطهد هو دائما على حق » هو من احسن الافلام التي عرضت في المهرجان لسبب بسيط هو عدم وجود الانفصام فيه ولانه يروي القصة بموضوعية دون مبالغات ويعرض حياة الفلسطينيين كما هي بافراحها واتراحها فهو على ذلك « يؤنسن » الانسان الفلسطيني فلا يبالغ فيه صعودا ولا هبوطا .

لا يمكن ان يكون هذا الفيلم من الافلام العظيمة . والذين قاموا بصنعه كانوا